عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى ﷺ، قَالَ:

١ كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ،

٢ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي،

٣ فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال: ٢٤]».

٤ ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ».

٥ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟»،

٦ قَالَ: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»[١٢٥].

(١٢٥) رواه البخاريُّ (٤٤٧٤).

آيات

- ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦].
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].
- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

الراوي

هو: أبو سعيدِ بنُ الْمُعَلَّى ﷺ، صحابيٌّ جليل مشهور بكُنْيَته، واسمه على الأصح: الحارث بن نُفيع بن المُعَلَّى المدنيُّ الأنصاريُّ، ولا يُعرَف في الصحابة إلا بحديثين، سَكَن الشام، وتوفِّي سنة ٧٣هـ، وعُمره أربعٌ وستُّون سنةً[١].

خلاصة

بيَّن الحديثُ أنَّ إجابةَ نداء النبيِّ ﷺ واجبةٌ حتى وإن كان المُنادَى في صلاةٍ، وأخبر أنَّ فاتحة الكتاب أعظمُ سور القرآن.

(١) يراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢/ ١٠٥٤)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (١/ ٢٨١)، «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير (٢/ ٢٤٦)، «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للمزِّيِّ (٣٣/ ٣٤٨)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٧/ ١٤٨).

١ يذكر أبو سعيد بن المُعَلَّى ﷺ أنه كان يُصَلِّي، فناداه النبيُّ ﷺ فلم يردَّ عليه واستكمل صلاته.

٢ فلمَّا أنهى صلاتَه ذهب إلى النبيِّ ﷺ مجيبًا، ومُبَرِّرًا عدم إجابته له بأنه كان في الصلاة، ظناً منه أنَّه لا يجوز له أن يقطعها، أو يتكلم فيها، وأن إجابة رسول الله ﷺ واجبة فقط لمن هو خارج الصلاة، فلهذا لم يُجبه.

٣ فأخبره النبيُّ ﷺ بأنَّ إجابته واجبة على الفور سواء كان في الصلاة أو في خارجها، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤] فالنبي ﷺ لا يدعوه إلا لأمر مهم.

٤ ثم أخبره ﷺ أنه سيذكر له أعظم سورة في القرآن قبل أن يخرج من المسجد.

وهذا يدل على أنَّ سور القرآن تتفاضل في الأجر وثواب القراءة، قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وذلك لما فيها من معاني أسماء الله تعالى وصفاته، وتوحيده والثناء عليه وصيغ دعائه وتمجيده، ولذلك كانت آية الكرسي أعظم آية في القرآن، وفاتحة الكتاب أفضل سورة فيه، وتعدل سورةُ الإخلاصِ ثُلثَ القرآن.

٥ ثُمَّ إنَّ النبيَّ ﷺ أخذ بيد أبي سعيد وَهَمَّ بالخروج من المسجد، إما نسيانًا لوعده بإخبار أبي سعيد عن أعظم سورة، وإما اختبارًا لأبي سعيد لينظر حرصه على العلم، فذَكَّره أبو سعيد بقوله قبل أن يخرج من الباب.

٦ فأجابه النبيُّ ﷺ بأن سورة الفاتحة هي أعظم سورة في القرآن الكريم، فهي السبع المثاني؛ **سُمِّيت بذلك لما فيها من الثناء على الله، ولأنها تُثنَّى -أي تُعاد- في الصلاة، ولأنها مما استثناه الله تعالى لأمة نبيه ﷺ**، وهي سبعٌ لأنها سبع آيات، وهي القرآن العظيم اللذان امتنَّ الله على نبيِّه ﷺ بإيتائهما له في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

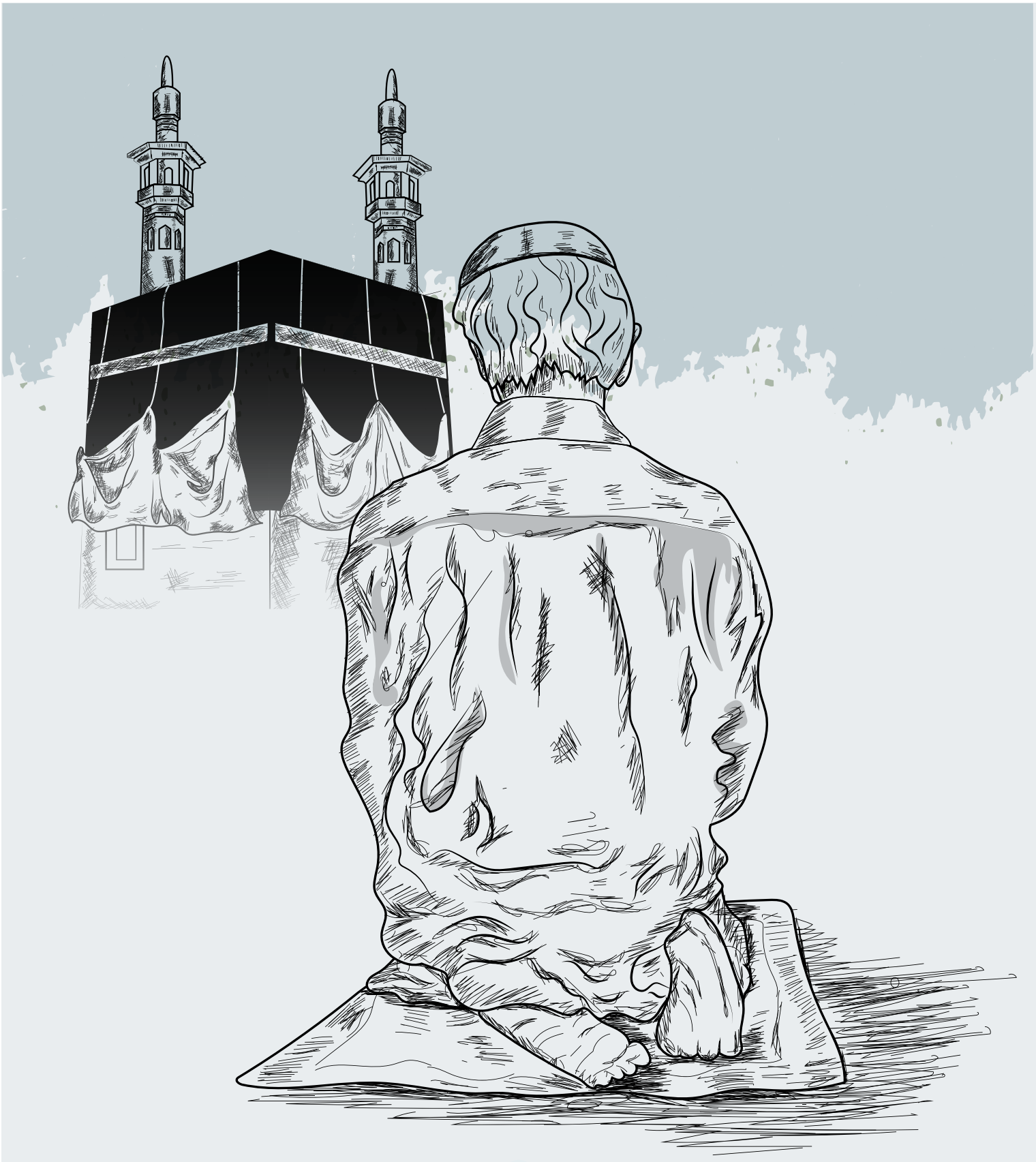

١ إذا كانت الاستجابة لأمرِ النبيِّ ﷺ واجبةً على المسلم، حتى لو كان في الصلاة، فمن باب أولى الاستجابة لأوامر النبيِّ ﷺ في جميع شؤون حياته، وعدم تقَدِّيم رأيَ الإنسان وهواه على سُنَّةِ النبيِّ ﷺ وشرعه؟!

٢ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤] إشارةٌ إلى أنَّ الحياة المُعتبرة المَرجُوَّة إنما هي حياة القلوب والأرواح لا مجرد حركة الأجساد وابتغاء الشهوات، وهي التي تُورث السعادة في الحياة الأبدية في الآخرة، لا تلك الحياة الفانية، فمن أراد أن يحيا حقًّا فليلزم طاعةَ الله ورسوله ﷺ، فهي وحدها سبيل الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة.

٣ احرِص على طلب العلم ولا يشغلك عنه شيءٌ، ولا يصدَّنَّك عن السؤال حياءٌ أو استكبار؛ فإنَّ أبا سعيد ﷺ لم يستحِ من أن يُذَكِّر النبيَّ ﷺ بما نسيه من وعده بإخباره أعظم سورة في القرآن، ولا من أن يتباطأ عن الخروج معه، على عظيم مكانته ﷺ في قلوب أصحابه، لحرصه على الحديث ومعرفة العلم.

٤ في الحديث دليل على رحمة النبي ﷺ بأصحابه، وحرصه على تعليمهم ما ينفعهم، فعلى المعلم أن يتخلق بخلق النبي ﷺ في التعليم، وعلى الطالب أن يتخلق بخلق أبي سعيد بن المعلى ﷺ في التعلم والحرص.

٥ على طالب العلم ألا يترك الخير حتى يضيع من يده، فلو أن أبا سعيد بن المعلى ﷺ ترك النبي ﷺ حتى خرج من المسجد، لما تعلم هذه الفائدة العظيمة.

٦ إذا تفاضلت سور القرآن في الأجر والثواب؛ فإنَّه ينبغي على المسلم أن يتدارك ذلك الفضل بأن يُكثر من قراءة الآيات والسور التي ورد في فضلها الأحاديث الصحيحة، فضلًا عن أن يحفظها، ويتدبر معانيها ويفهم سرَّ رفعتها.

٧ من أسرارِ علوِّ منزلة الفاتحة: أنَّ الله تعالى ابتدأها بالحمد والثناء والتمجيد قبل الدعاء، وهذا من آداب الدعاء التي ينبغي على العبد أن يحرص عليها ليستجاب دعاؤه؛ فعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ ﷺ، قَالَ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجِلَ هَذَا»، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: - أَوْ لِغَيْرِهِ - «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ»(١٢٦).

(١٢٦) رواه أبو داود (١٤٨١)، والترمذيُّ (٣٤٧٧)، والنسائي (١٢٨٤).

قال الشاعر:

اقْـرَأْ كِتَـابَ اللهِ وَافْهَـمْ حُكْمَـهُ ... اقْـرَأْ كِتَـابَ اللهِ وَافْهَـمْ حُكْمَـهُ
فَهُـوَ الخِطَـابُ لِـكُلِّ عَقْـلٍ نَابِـهِ ... وَهُـوَ الضِّيَـاءُ بِنُـورِهِ الرَّبَّـانِي
يَهْـدِي إِلَى الخَـيْرِ العَمِيـمِ وَإِنَّـهُ ... أَمْـنُ القُلُـوبِ وَرَاحَـةُ الأَبْـدَانِ
قَـدْ أَنْـزَلَ القُـرْآنَ رَبٌّ حَافِـظٌ ... لِيُعَلِّـمَ الإِنْسَـانَ خَـيْرَ بَيَـانِ